فى ميدان العمل الحر متسع للشباب المثقف

للاستاذ عيسى متولى

لفت نظرى إعلان صغير فى إحدى الصحف اليومية ، نشره شاب من خريجى التجارة المتوسطة ، يعرض فيه استعداده لدفع تأمين مالى قدره مائتا جنيه ، نظير إلحاقه بوظيفة "محصل" فى إحدى الدوائر ! ...

رثيت لهذا الشاب الذى فقد كل أمل فى ميدان العمل الحر ، فراح يسعى وراء وظيفة بسيطة ، لا يتعدى راتبها عدد أصابع اليد الواحدة من الجنيهات ، عارضا مبلغا محترما كهذا بمثابة تأمين لتلك الوظيفة ! ...

ولو أنصف هذا الشاب الذى تخرج فى مدرسة التجارة ، لاتخذ من هـذا المبلغ الذى يريد أن يقبره رأس مال يبدأ به عملا من الأعمال الحرة ، يدر عليـه أضعاف ماتدره عليه الوظيفة ، ولا سيما فى هذه الظروف التى ظفر فيها أصحاب المهن الحرة إلى ذروة الثراء ... ولكنه هام حبا بالوظيفة ومظاهرها ، وقنع بدخلهـا المحدود ، شأنه فى ذلك شأن معظم شبابنا الذين يتخرجون فى مختلف المعاهد والكليات ، ويحصلون منها على أرفع الشهادات وأرقى الدرجات ، التى تؤهلهم لمزاولة الكثير من الأعمال الحرة ، وتكفل لهم الفوز والنجاح ، ولكنهم يحجمون عن مزاولتها ، ويعرضون عنها ، ويتهافتون على الوظائف الحكومية تهافتا غريبا ، كأن مستقبلهم قائم عليها وحدها ، فيقصدون ذوى الحيثية والجاه ، يتشفعون بهم عند أولى الأمر ، ويلتمسون منهم البطاقات والتوصيات ! ... فكأن الأمنية الوحيدة للشاب بعد إتمامه الدراسة إنما هى "الوظيفة" ... مناط الأمل ، ومعقد الرجاء ! !

وكيف تتسع الوظائف الحكومية لهؤلاء المئات ، الذين يتخرجون فى مختلف المعاهد فى كل عام ؟!

ولو حاولنا تعليل هذه الظاهرة السيئة ، أدركنا أن للنشأة الأولى دخلا كبيرا فيها ، فنحن لا نعود الطفل منذ صغره الاعتماد على نفسه فى شأن من الشؤون ، فنشعره بعجزه دائما عن مزاولة أى عمل دون مساعدة يمده بها الغير . فيشب ضعيف الثقة بنفسه ، ويجبن عن مزاولة أى عمل حر ، أو القيام بمشروع من المشروعات ، لأنه تعود منذ صغره ذلك . تعود أن يكون له فى كل عمل معين يعينه على أدائه . فنحن نشفق على الطفل أن يجهد نفسه فى عمل من الأعمال ، ونحمل عنه الأعباء كلها . حتى كتبه المدرسية نعفيه من حملها

عند ذهابه إلى المدرسة وعودته منها ، فنبعث برفقته من يحمل له كتبه وأدواته . وهذا لون من ألوان التدليل الذى يضر بالطفل ضررا بليغا ، لأننا نفقده عادة حميدة يجب أن تلازمه منذ صغره لتفيده فى رجولته ، وهى الاعتماد على النفس والثقة بها . وهى خير سلاح يزود به الشباب فى معترك الحياة ! ...

* * *

أنظروا كيف يشق الأجنبى طريقه فى الحياة ، بملأ صدره الأمل وينير له طريقه ، ويحفزه إلى السعى دون أن يتطرق إلى عزيمته وهن ، ولا إلى نفسه قنوط ! ...

يقصد الأجنبى بلادنا خالى الوفاض ، ويقتحم ميدان العمل الحر ، فاذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال الكبيرة ، ذلك لأنه لا يستنكف عن مزاولة أى عمل ، ما دام هذا العمل شريفا ، يدر عليه ما يقيم أوده ويغنيه عن الغير ... فتراه يحترف مختلف المهن والصناعات التى يستنكف بعض شبابنا احترافها ، ثم يتقدم فى هذه الصناعة شيئا فشيئا حتى يجيدها ويتقنها ، فيتسع نطاق أعماله ، وتزداد ثروته ، ويتضاعف رأس ماله . وهكذا يعرف الأجنبى كيف يخوض غمار الحياة العملية ، سلاحه الاعتماد على النفس ، وشعاره المثابرة والدأب ، ورأس ماله الجد والكفاح !

أذكر أننى مررت فى مرة بمتجر صغير للشاى ، يملكه رجل أجنبى ، فى أحد شوارع القاهرة ، واشتريت منه يومئذ كمية من الشاى ، فلم يكن بهذا المتجر الصغير سوى صندوق واحد من الشاى ، بل ولم يكن صاحبه يمتلك ميزانا ، فلجأ إلى جار له يزن لى بميزانه . . ومرت الأيام . . فاذا بهذا المتجر يمتلىء شيئا فشيئا بصناديق الشاى ، وأخذت أتتبع تقدمه كلما مررت بطريقه ، فاذا به بعد أشهر معدودات متجر محترم ، زاد عدد عملائه ، وامتلأت جنباته بصناديق الشاى والبن معا ، ولما لمس الرجل هذا الاتساع استأجر المتجر الذى يجاوره ، وخصصه لتجارة البن وطحنه .

ومررت بهذا المتجر أخيرا ، فراعنى ماشاهدت ! . . شاهدت متجرا عظيما ، علقت على واجهته لوحة كبيرة ، كتب عليها "مخازن الشاى ومطاحن البن الكبرى" تدار مطاحنه بالقوة الكهربائية ، وعلى إحدى مناضده (التليفون) وبه موازين كثيرة من مختلف الأحجام . .

أرأيتم كيف بدأ هذا التاجر عمله صغيرا ، لا يملك ميزانا يزن به بضاعته ؟ ؟ . فاذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال ؟ .

إن الفضل فى ذلك إنما يعزى إلى اجتهاده ، ودأبه ، ومثابرته على العمل . .

هذا مثل من أمثلة كثيرة ، نلمسها فى كثير من المناسبات ، ونشهدها فى كل يوم . . ولقد شاهدنا فى السنوات الأخيرة فريقا من رجال التجارة وأصحاب المهن الحرة قد استفادوا كثيرا ، وربحوا كثيرا ، فلقد يربح أحدهم فى صفقة واحدة ما يعادل أو ما يفوق مرتب موظف فى عام بأكمله ؟ .

هؤلاء العصاميون الذين ابتسمت لهم الحياة لم ينالوا ما نالوه ، ولم يبلغوا ما بلغوه ، عن طريق الوظائف والتوظيف ، إنما نالوه بفضل الاعتماد على النفس والإيمان بها . . فما السر إذن فى تهافتنا على الوظيفة ؟ .

سلوا الموظفين عن هذه القيود التى تقيدهم بها الوظيفة . . ولا يستطيعون التحرر من ربقتها . .

سلوهم . . يقولوا لكم الشىء الكثير . . ويتمنوا لو أن الأقدار هيأت لهم غير ما هيأت .

* * *

من الواجب أن يوجه الشباب جهوده إلى ميدان الأعمال الحرة ، فيستغل كل منهم مواهبه العلمية فى الناحية التى تخصص فيها .

فخريجو الزراعة المتوسطه وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية فى النواحى التى درسوها ، فيقبلون على إحياء الصناعات الزراعية فى بلاد زراعية تفتقر إلى صناعات زراعية ؟ .

وخريجو التجارة المتوسطة وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية فى ميادين التجارة ، وهم أجدر الشباب بمزاولة الأعمال التجارية ؟ ! .

وخريجو المدارس الصناعية . لماذا لا يستثمرون جهودهم فى إحياء الصناعات التى تحس بحاجتنا الماسة إلى قيامها ، ولقد لمسنا مدى هذه الحاجة بعد قيام الحرب وانقطاع معظم الواردات الصناعية من الخارج . . .

قد يعزى بعض الشبان سبب إحجامه عن مزاولة الأعمال الحرة إلى افتقاره إلى رأس المال الذى يبدأ به عمله ، أو الأرض التى يريد استغلالها ، وهذه ولا شك عقبة كأداء ، يجب ألا نغفلها أو نستهين بأثرها ، تقعد الكثيرين عن تحقيق مشروعاتهم ، وعلاج هذه المشكلة إنشاء بنك صناعى ، يمد هؤلاء الشبان بسلفيات صناعية ، تسدد على أقساط سنوية بفائدة بسيطة ، تمكنهم من تحقيق مشروعاتهم ، بعد دراسة هذه المشروعات ، والتأكد من نجاحها ، واشراف لجنة حكومية على كل مشروع تمد الحكومة صاحبه بالمال اللازم .

كما أن نظام الاقطاعيات الزراعية لحريجي الزراعة يذلل هذه العقبة ويساعد على استغلال الأراضي البور ، ويفسح مجال العمل الحر أمام هؤلاء الشبان المثقفين . .

استعينوا بمساعد الشباب فى تحويل هذه الأراضي البور إلى جنات معروشات ! . .

ولا يفوتنى هنا أن أشير إلى ظاهرة سيئة ، وهى أن بعض أصحاب الثروات فى مصر يؤثرون تكديس أموالهم فى الخزائن عن استثمارها فى مشروعات صناعية مفيدة ، ولو أن هذه الأموال المحبوسة وجهت وجهة صالحة ، لآتت أطيب الثمرات ، ولفتحت باب الرزق للكثيرين .. ولكنهم — مع الأسف — حبسوها فى الخزائن ، وأقاموا عليها من أنفسهم حراسا ؟ ! .

* * *

بقى على أن أشير إلى نقطة هامة فى الموضوع ، وهى " المركز الاجتماعى " أو " المكانة الاجتماعية " للموظف ولصاحب العمل الحر ، فنحن لا ننظر إلى التاجر نفس النظرة التى ننظرها إلى الموظف ، الذى نتزله مركزا اجتماعيا أرفع وأسمى . . فإذا تقدم رجل من رجال الأعمال التجارية لخطبة فتاة ، آثر أهلها زواجها من موظف حكومى عن زواجها بالتاجر . وكانت حجتهم فى ذلك أن التاجر عرضة للإفلاس ، ونسوا أن الموظف كذلك — مهما كان مركزه الأدبى — عرضة للفصل فى أى وقت لسبب من الأسباب ! . . . .

لذلك نرى الموظفين يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة ، ولعل هذا عامل من عوامل تعلق شبابنا بالوظائف . . وهذه بعض " مغريات الوظيفة " . . . حتى أننا نرى فى بعض الدواوين والمصالح فريقا من أبناء الأغنياء يشغل بعض الوظائف ، لا لحاجته إلى مرتبها بل احتفاظا بمركز ملحوظ فى الهيئة الاجتماعية ! . . ومنهم من ينفق راتبه ثمنا لبنزين عربته ، أو ثمنا للفافات التبغ التى يقدمها لزواره ؟ ! . .

* * *

إن فى ميدان العمل الحر لمتسعا للشباب المثقف . . . فليول الشبان وجوههم شطره ، وليتخذوا من هذا الميدان الحر حلبة سبق ، ومضمار منافسة ، تتنافس فيه الهمم ، وتتسابق العزائم ! . .

شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامعينا

عيسى متولى